قيامةُ المسيحِ حياةٌ للإنسانيَّةِ

في حدث قيامة المسيح أرى الكثير من الأفكار والتأملات، لكن ونحن نتذكر القيامة أحيانًا يغيب عن بالنا أنها رحلة وطريق ذو معالم، هو طريق الآلام، وفي غمرة الفرح بالقيامة وبهجتها، لا ننسى أنها مرحلةٌ تاليةٌ لموتٍ وآلامٍ. وهي تُشبِهُ حالةَ من مخاض الولادة؛ فهو ينطوي على آلام وأوجاع شديدة، لكنه ينتهي بفرحةٍ كبيرةٍ. هذا التشبيهُ استخدَمَهُ السيد المسيح في حديثه مع تلاميذه عندما كان يبصِّرهم بما ينتظرهم من اضطهادات وآلام، فقال: «اَلْمَرْأَةُ وَهِيَ تَلِدُ تَحْزَنُ لأَنَّ سَاعَتَهَا قَدْ جَاءَتْ، وَلكِنْ مَتَى وَلَدَتِ الطِّفْلَ لاَ تَعُودُ تَذْكُرُ الشِّدَّةَ لِسَبَبِ الْفَرَحِ، لأَنَّهُ قَدْ وُلِدَ إِنْسَانٌ فِي الْعَالَمِ» (إنجيل يوحنا ١٦: ٢١).

بقلم : رئيس التحرير

د. ق. أندريه زكي

رئيس الطائفة الإنجيلية بمصر
رئيس الهيئة القبطية لإنجيلية للخدمات الاجتماعية

نتذكر القيامة لكننا لا نغفل الموت، ويزداد الحديث عن الموت في الفترات التاريخية التي تشهد تقلبات كعصرنا الراهن؛ فحالة الركود الاقتصادي التي يعيشها العالم جراء تأثيرات وباء كورونا، والحرب الروسية الأوكرانية الضروس التي لا يعلم أحد إلى أين تتجه، وتخلف وراءها قتلى وجرحى وآلاف القصص المأساوية... هذه الظروف تنطوي على موت جسدي حقيقي، وموت داخلي، يتمثل في انعدام الرغبة في الحياة وغلبة اليأس والخوف في نفوس الناس، وسيادة عدم وضوح الرؤية على العقول وانعدام الهدف من الحياة.

إذن بأية قيامة نحتفل؟ وهل من أمل في قيامة من هذه الآلام؟ هل من رجاء في عالم أفضل؟

وفي هذا السياق يلهمني كثيرًا ما ورد في الرسالة إلى العبرانيين ٢: ١٤- ١٥: «فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ أُولئِكَ الَّذِينَ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ».

يشير هذا النص الكتابي إلى أفكار كثيرة حول حالة العبودية للموت واليأس، ويشير أيضًا إلى مشاركة السيد المسيح للإنسانيَّة في هذه الحالة المأساويَّة، ويشير إلى النصرة على الشر، وهو ما يفتح أمامنا طاقات الأمل والرجاء.

مبدأ المشاركة

وفقًا لما قرأنا في النص السابق، نفهم أن أول خطوة اتخذها المسيحُ نحو الإنسانية هي أنه تشارك معها في اللحم والدم، والنص يعني بذلك أن السيد المسيح أصبح متَّحدًا بالإنسانية في ظروفها.

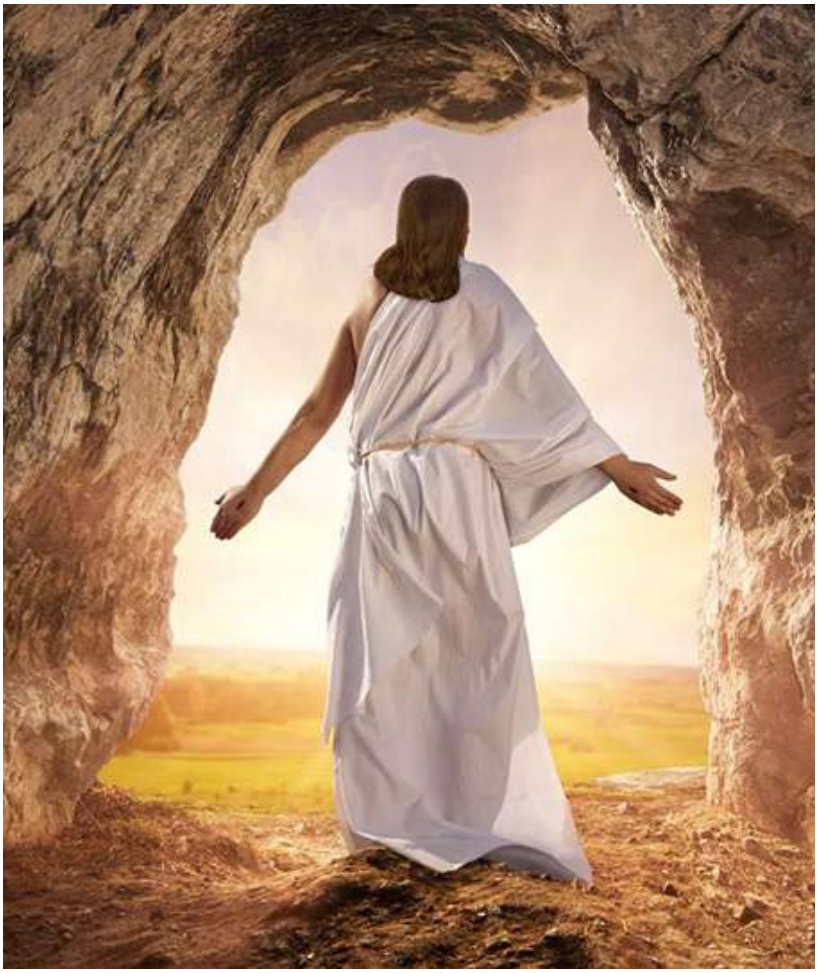

فرغبة المسيح وهدفه كانا واضحَيْن ومباشرَيْن: أن ينقذ الإنسانية من كل ما بها من موت بأشكاله المتعددة. أراد كاتب الرسالة إلى العبرانيين بقوله «تشارك في اللحم والدم»، أن يؤكد على التضامن الكامل من السيد المسيح وتوجُّهه نحو الإنسانية. تشارك كلي في كل شيء، ماعدا الخطية.

يشير كاتب الرسالة إلى العبرانيين إلى أن السيد المسيح بقيامته هزم إبليس، مصدر كل شر وألم وموت. قام السيد المسيح من الموت لتحرير البشر من قبضة الشر والشرير، لذلك فهناك سبيل للحرية مع المسيح.

تأثير المشاركة

لا يمكن إلا أن يكون لهذه المشاركة أثر عميق في الهوية الإنسانية، وما يقوله الوحي المقدس هنا مهمٌّ للغاية، لأنه يعلِّم أن قيامة المسيح تعطي بُعدًا جديدًا للإنسان؛ فلا يعود الإنسان بَعد عبدًا، بل ابنًا، وشريكًا، فينشر الحياةَ والأملَ والرجاءَ بين البشر بدلاً من جرح البشر بالأنانية والتمركز حول الذات وهي أصل كل الشرور والخطايا. هذه الهوية الجديدة يستمدها الإنسان من وعيه بحقيقة القيامة.

إنه سؤال جادٌّ يوجهه الله للإنسان: هل تقبل الحياة؟ كان هذا هو السؤال الذي وجَّهه موسى للشعب قديمًا: «أُشْهِدُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ. قَدْ جَعَلْتُ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ. الْبَرَكَةَ وَاللَّعْنَةَ. فَاخْتَرِ الْحَيَاةَ لِكَيْ تَحْيَا أَنْتَ وَنَسْلُكَ» (تث ٣٠: ١٩).

قيامة المسيح تضامن وانفتاح نحو الإنسانية

أدعوكم اليوم ونحن نفكر في القيامة أن نتأمل في أشكال الموت من حولنا. هل هناك فقير من حولنا؟ هل هناك مظلوم من حولنا؟ هل نعرف مسكينًا سحقت به الحياة للدرجة التي يأس منها فأصبحت الأخلاقيات مجرد رفاهية؟ هل نعرف جائعًا لا يجد قوت يومه فلا توجد لديه الفرصة أن يفكر في ملكوت الله؟ إن احتفالنا الحقيقي بالقيامة ليس فقط بترديد العبارات الدينية، بل هو سعي لتغيير المجتمع نحو الأفضل. أدعوكم أن نمد يد العون لكل من يقاسي صعوبات التحديات الاقتصادية. في كل مرة تمتد أيدينا لإنقاذ إنسان فنحن ننفذ روح الوصية الإلهية.

لهذا فإن قيامة المسيح هي إعلان تضامن عظيم بين الإنسان وأخيه الإنسان، مبني في الأساس على تضامن إلهي مع الإنسانية. التضامن بين الإنسان وأخيه الإنسان يبني الحياة، ويحفظ الكرامة، ويؤسس لعهد جديد لا فرق فيه بين رجل وامرأة، غني وفقير، قوي وضعيف.

التضامن الإنساني هو ما يمكِّننا من مواجهة التحديات والشر، وبه نستطيع الوقوف في وجه الموت الداخلي واليأس والإحباط. بهذا تصبح عبادتنا وتقربنا إلى الله ليست مجرد دعوات وصلوات لتحسين وضع الإنسانية، بل لتنفيذ وصية الله في العمل والخير الذي في خطته للإنسان.

ختامًا، لا أقول نصلي فقط، بل نصلي ونعمل لأجل بلادنا وسلامها وازدهارها، نصلي ونعمل معًا مع المسؤولين في بلادنا، رئيسًا وحكومةً ومجتمعًا، نصلي ونعمل لأجل كل محتاج لانتشاله من براثن اليأس لرسم طريق أفضل للحياة.